



تفسير جزء عم

د. محمد الخضير

الدرس (12)

سورة البلد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حيّاكم الله جميعاً في مستهلّ هذه الحلقة. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أحييكم مشاهدي الكرام، كما أحيي إخواني هؤلاء الذين حضروا معنا في الاستوديو، وأسأل الله أن يجزيهم ويجزيكم خيراً على حسن المتابعة.

اليوم معنا سورة البلد، وهو سورة يحفظها بحمد الله أكثر المسلمين، ونسمعها كثيراً في المحارب،-

ونسلمع أيضاً بتلاوتها لما فيها من المعاني العظيمة، والحكم والأحكام والدروس الكريمة.

هذه السورة اسمها سورة البلد، ولا يُعرف لها اسم غير هذا، وإن كان الإمام الشوكاني رحمه الله - في فتح القدير سمّاها أيضاً سورة "لا أقسم"، ولكن هذا لم نجده في كتاب آخر، فالظاهر أن اسمها باسم تلك الكلمة التي وردت في أول آية وهي قوله: **{لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}**، فهي سورة البلد.

والبلد بإجماع المفسرين هو: مكة. كما قال الله في سورة التين: **{والتين والزيتون وطور سينين * وهذا البلد الأمين}** [التين 1-3].

وهنا قال: {لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}، فنص الآية يدل على أن المقصود به مكة.

وكانت تسمّى عند العرب: البلدة، والبلدة. قال النبي صلى الله عليه وسلم- للصحابة وهم في مجمع منى في يوم القرّ وقد اجتمعوا حوله،-- فقال - عليه الصلاة والسلام: (أي يوم هذا؟). فقالوا: الله ورسوله أعلم. -----قال: (أليس يوم القرّ).

ثم قال: (أي شهر هذا؟). -----قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: (أليس شهر ذي الحجة؟). -----قالوا: بلى.

قال: (أي بلد هذا؟). -----قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: (أليست البلدة؟). -----فكانت يطلق عليها عند العرب البلدة والبلد.

إذن، هذه السورة سُميت باسم هذه الكلمة التي وردت في أول آية من آياتها. -----قال الله - عز وجل: **{لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}**، هذه السورة، من عادتنا كما في السور الأخرى أن نتحدّث عن مقدمات لها .

1-- اسم السورة: البلد.

2-- أين نزلت هذه السورة؟ ماذا ترون؟ -----{نزلت في مكة}. كيف عرفت؟ -----{البلد تُطلق على مكة، فأخذت أنها نزلت في مكة}. -- نعم، **{لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}**، الإشارة إلى شيء ماذا؟ حاضر. -----**{وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}**، فهي إشارة إلى شيء حاضر،

3--- إضافة إلى أن موضوعات هذه السورة هي موضوعات السور المكية.

4--- كما أن أسلوبها هو أسلوب السور المكية، ولهذا جماهير العلماء سلفاً وخلفاً على أنها سورة مكية، ولم يخالف في هذا إلا قلة من العلماء يرون أنها مدنية، أو أن فيها آيات مدنية.----- ولكن الصحيح هو الذي عليه جمهور العلماء من أنها سورة مكية. والدليل كما ذكر أخونا، يعني واضح جداً في الدلالة على أنها مكية، {لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}.

5--- عدد آياتها: عشرون آية، بلا خلاف بين العاديين.--- تعلمون أن العدد علم من علوم القرآن، معروف علم العد، ويختلف فيه البصريون عن الكوفيين عن الشاميين، إلى آخره.

وهل يعني أن بعض هؤلاء يعدّ آيات أكثر من غيره إذا اختلفوا؟ لا هي نفس الآيات لا تختلف ولكن يختلفون في المقاطع. فمثلاً سورة الفاتحة سبع آيات، يختلفون كيف تكون السبع،--- لكنهم لا يختلفون أبداً في أن الآيات هي لا يزداد منها، ولا ينقص عنها.

6---محور هذه السورة: محور هذه السورة في حال الإنسان وضعفه، وأنه قد أحاطت به المشاق والأتكاد، وأنه يجب عليه أن يقتحم العقبة ليسلم رقبته من النار.-----فمقصود هذه السورة أن تبين للإنسان ضعفه، وأنه مبتلى في هذه الحياة، وأن عليه أن ينجو، {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ}، وتبين له سبيل النجاة.

في سورة الفجر جاء ذكر أعمال الكفار التي استحقوا بها الهلاك والعقوبة الدنيوية والأخروية.

{فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا بَلْ لَا تَكْرَمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثُ أَكْلًا لَمًّا * وَتُجْبُونَ الْأَمْالَ حُبًّا جَمًّا} [الفجر 20-15]، رأيتم؟ هذه أعمالهم، ولهذا استحقوا العقوبة. في سورة البلد يبين الله أن ابن آدم مبتلى وأنه مكلف، وأن واجب عليه أن يشكر، {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ}.

كيف يشكر ويقتحم العقبة؟ {فَكَرِّبَةً (13) أَوْ إِطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}، هذه هي سبيل النجاة.

فمن أراد أن يقتحم العقبة وينجو من النار عليه أن يقوم بهذا الأمر، وإلا فالإنسان قد أنعم عليه وقد نُصص عليه، فهذه الدار دار تنغيص وأتكد، وليست دار نعيم وراحة.

قيل للإمام أحمد: متى يجد المؤمن الراحة؟---قال: "إذا وضع أول قدم له في الجنة".

يعني قيل ذلك ماذا؟ قيل ذلك كله تعب ومشقة.-----فنسأل الله سبحانه وتعالى- أن يمن علينا بتلك الخطوة التي نضع فيها أقدامنا في الجنة فنرتاح راحة لم ندقها قبل ذلك أبداً.

7---ما هي مناسبة هذه السورة؟ قد ظهر في كلامي الذي قيل لقليل المناسبة بين سورة البلد وسورة الفجر.---ففي سورة الفجر ذكر لأعمال الكفار التي استحقوا بها العقوبة.

8---وفي سورة البلد ذكر للأسباب التي يخرج بها الإنسان من أعمال أهل النار، وينجو بها من الهلكة، وقد بيناها ستة أسباب سنمر عليها بعد قليل.---ثم أيضاً في آخر سورة الفجر قال:

{يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي} [الفجر 27-30]،

كيف تدخل الجنة؟ وكيف تكون من النفوس المطمئنة؟

إذا فكَّ الرقبة، وإذا أطمع في يومٍ ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة، {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}.

ثم لما ذكر أعزَّ شيء في النفس قال: {يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ} [الفجر: 27]، ذكر أعزَّ مكان وهو البلد، فقال: {لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (1) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (2) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ}.

ثم نأتي بعد ذلك إلى تفسير هذه السورة الكريمة-نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا به وقد قسمناها إلى مقطعين:

1---المقطع الأول: ينتهي بقول: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}.

2---والمقطع الثاني: ينتهي بآخر السورة.

يقول الله -عز وجل: {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}.

{لَا أُقْسِمُ}، هذا الأسلوب مرّ بنا مرارًا في هذا الجزء الكريم، في قوله {فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَاسِ * الْجَوَارِ الْكُنَاسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَوَسَ} [التكوير 15-17]، وفي قوله: {فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ} [الإنشاق 16-18]. وبيننا في تلك الآيتين أن معنى {لَا أُقْسِمُ} ماذا؟ أقسم.

أن "ما" للتأكيد. وهذا معروف عند العرب.

كما قال الله: {قَالَ مَا مَنَّكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ} [الأعراف: 12]، أصلها قبل مجيء اللام: "ما منعك أن تسجد"، ف "لا" مزيدة للتأكيد، ولذلك يقال: "لا" زائدة زائدة، زائدة في اللفظ -----زائدة للمعنى.-----يعني ليست زيادة لا فائدة منها ولا حكمة

؛ بل هي زيادة لفظية لها دلالة معنوية، وهي التأكيد.-----وكذلك في قول الله -عز وجل- في سورة الحديد:

{لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَّا يَفْقِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} [الحديد: 29]، ف "لا" هنا زائدة أيضًا، لكنها زائدة في اللفظ زائدة للمعنى.

ولذلك يتحاشى بعض العلماء أن يسمّوها زائدة، فيقولون:

"لا" مؤكدة، احترامًا للقرآن أن يُنسب إليه شيء من الزيادة. ولكن نقول: هي

*****زائدة زائدة، يعني زائدة في اللفظ، يعني على أصل اللفظ،----

*****زائدة للمعنى، بليغة، لا يتم المعنى ببلاغته إلا بها.

1-- إذن {لَا أُقْسِمُ}، معناها أقسم، وهذا عند جمهور المفسرين، وخصوصًا من السلف.-----

-أما المتأخرون فقد اختلفوا:

2-----فمنهم من قال: {لَا أُقْسِمُ}، أي ليس الأمر كما تزعمون؛ أقسم بهذا البلد، ليس الأمر كما تزعمون من أنه لا بعث؛ أقسم بهذا البلد.---وهذه الزيادة أو هذا التقدير يحتاج إلى دليل، فالأولى إجراؤها على ما ذكره السلف من أنها مؤكدة.

3-----ومنهم من قال: أن "لا"---- نفى للقسم وليست إثباتًا له، فقالوا: لا أقسم بهذا البلد لأن الأمر لا يحتاج إلى قسم، فحملوا "لا" هنا على أنها نافية للقسم.

إذن صار عندنا ثلاثة أقوال:- "لا" مؤكدة للقسم.----- و "لا" نافية لشيء محذوف، ثم يأتي بعده القسم.----- نفى للقسم لأن الأمر أوضح من أن يُقسم عليه.

والصحيح هو الأول الذي عليه جمهور السلف؛---- بل إنني لا أعلم من السلف من خالف في ذلك، وإن كان من المتأخرين من ذكر الأقوال في هذا الأمر، والعبرة بما كان عليه السلف، فهم أعظم الناس فهمًا لكتاب الله، وأدرى الناس بكلام العرب.

فمعنى {لَا أُقْسِمُ}، أي أقسم.

ومما يؤكد ذلك: قوله في سورة الواقعة: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ} [الواقعة 75، 76]، فحمل هذا قسمًا مع أنه قال: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}.

قال: {بِهَذَا الْبَلَدِ}، "هذا"-----إشارة إلى شيء حاضر وهو مكة-----، والبلد هي مكة بالإجماع، لم يختلفوا في ذلك.

قال: {وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}،----- والوا هنا ليست للقسم، ولكنها واو للحال،

يعني: أقسم بهذا البلد حال كونك حلالاً بهذا البلد، بأن البلد يزداد شرفاً بحلول أو بأن يحلّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم- ما لا يحلّ لغيره. ومعنى قول: {وَأَنْتَ حِلٌّ}،----- هذه اختلف فيها:

1---فمن العلماء من يقول: {وَأَنْتَ حِلٌّ} أي حلال بهذا البلد، --وعلى هذا جمهور السلف، وبهذا تكون هذه الآية من الإعجاز الغيبي، لأنها مكية، ولم تحل مكة لرسول الله إلا في العام الثامن عندما فتحت مكة، قال: ----

«إنها أحلت في ساعة من النهار، وإنها عادت اليوم إلى حرمتها كما كانت بالأمس».

فالله أقسم بهذا البلد في الوقت الذي تكون فيه مكة حلال لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

2---ونص المفسرين: {وَأَنْتَ حِلٌّ}، بمعنى: حالٌ ومقيم، {وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}، أي حالٌ ومقيم بهذا البلد، لأن شرف مكة يزداد بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم- فيها.

3---والقول الثالث: {وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}، أي وأنت حلال الدم في هذا البلد، عندما استحلّ أهل مكة دم رسول الله صلى الله عليه وسلم- وجعلوا الجوائز على من يقتله -عليه الصلاة والسلام- فأنقذه الله من بيد أيديهم ثم عاد إليهم بعد سنين منصوراً فاتح قائماً بالحق، به الشريعة تلك العصا والفأس يهدم بها الأصنام ويقول: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} [الإسراء: 81].

إذن، حلال الدم. ---- هذا القول الثالث.----- أي هذه الأقوال أصوب؟

ما عليه جمهور السلف هو الأصوب، مع أن هذه الأقوال لا تتعارض، فهي كثير من أقوال السلف في التفسير، هي صالحة لأن تدخل في معنى الآية.

يعني فما الذي يمنع أن يُقال: وأنت حلٌّ: أي حلال لك، قد أحلها الله-----، وأنت حالٌ مقيم فيه، وأنت قد أحلّ دمك فيه؟

لا مانع، لكن أليقها باللفظ وأقربها هو الذي عليه جمهور السلف، بمعنى:

وأنت حلال أي قد أحل الله لك هذا البلد، ويؤيده أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد حصل له ذلك في فتح مكة.

وتكون هذه الآية من باب الإعجاز الغيبي، يعني أخبرت الآية بشيء فوق ذلك كما أخبر به الله -سبحانه وتعالى- وإلا من كان يتصور أن النبي صلى الله عليه وسلم- الذي كان طريداً شريداً ضعيفاً وحيداً ومعه أصحابه الضعفاء،

يأتي يوم يستحل فيه البلد الحرام بأمر الله -عز وجل- ويكون فاتحاً منصوراً؟ ما أحد يتوقع ذلك.

1---قال: {وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}.

2---ثم جاء القسم الثاني: {وَوَالِدٍ}.

3---والقسم الثالث: {وَمَا وَلَدٍ}.

فعندنا في هذه السورة كم قسم؟----- هذا القسم الأول،----- وهذا القسم الثاني،----- وهذا القسم الثالث.----- ثلاثة أقسام.

طيب، {وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٍ}، بأي شيء أقسم الله هنا؟

قيل: {وَوَالِدٍ}----- والذي لم يلد، "ما" هنا نافية، يعني: ووالد وما لم يلد، يعني وكل شيء يلد، وكل شيء لا يلد، يقسم الله بكل شيء.

لأن الأشياء نوعان: --- شيء يلد. - وشيء لا يلد.

وبهذا يكون هذا من الأقسام العامة كقوله: {وَالشَّفَعِ وَالْوَثْرِ} [الفجر: 3]،

وقوله في سورة البروج: {وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ} [البروج: 3]، ونحوها من الإقسامات العامة الشاملة.

1--- هذا على القول بأن "ما" هنا نافية، يعني: ووالد وما لم يلد، يعني: وكل شيء يلد، وكل شيء عاقر لا يلد.

2--- القول الثاني وعليه أكثر السلف: {وَوَالِدٍ}، أي الذي يلد.----{وَمَا وَلَدَ}، وولده، يعني والذي ولد.

فـ "ما" هنا تكون ماذا؟ موصولة بمعنى: ومن ولد، ووالدٍ ومن ولد.---

وهل هي عامة أو مقصود بها شيء محدد؟-كثير من السلف يرون أنها إما أن تكون في آدم وولده، أو في إبراهيم وولده.

رجح الإمام الطبري أنه ما لم يدل على ذلك دليل ويكون هناك بيّنة من خبر أو عقل؛ فإن الأولى حملها على العموم، فتكون قسمًا عامًا.-----{وَوَالِدٍ}، يعني: أقسم بكل والد، وبكل مولود.

إذن، عندنا الآن ثلاثة أقسام:

- بهذا البلد.-----وبالوالد.-----وبالولد.

على أي شيء؟ أين جواب القسم؟

في سورة الفجر كان جواب القسم محذوفًا مقدّرًا، أما-----هنا مذكورٌ بيّنٌ،-----{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}.

أقسم الله على هذه الحقيقة التي تحتاج إلى تأكيد، لأن كثير من الناس يتوقعون أنهم يمكن أن يعيشوا بلا كبد،----- وهذا لا يسلم منه أحد، لا غني ولا فقير، ولا أمير ولا مأمور، ولا كبير ولا صغير، ولا ذكر ولا أنثى، ولا حر ولا عبد؛ كل الناس سيعيشون الكبد ويزدقونه، حتى الأنبياء والرسل. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، ويبتلى الرجل على قدر دينه).

إذن لابد من الكبد.-----قال: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، اختلف في قوله {كَبَدٍ} على ثلاثة أقوال:

1---القول الأول: أي في تعب وعناء ومشقة.---وهذا القول عليه أكثر السلف وهو الظاهر، وبهذا يكون مثل قول الله -عز وجل: {تَتَّبَلُّونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا} [آل عمران: 186].

ومثل قول الله -عز وجل: {وَلَتَبْلُوتُنَّكُمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [البقرة: 155].

فالله يُقسم على أن الإنسان لابد أن يُبتلى، مؤمنًا كان أو كافرًا،----- وأنه لابد أن يذوق الكبد والنكد،-----وتكون مثل الآية التي مرّت بنا في جزء عم: {فَلَا أَقْسَمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} [الإنشاق 16-18]، فالإنسان في هذه الحياة تتقلب به الأحوال، صغير، ثم كبير، شاب، ثم هرم، ثم مريض، ثم صحيح وسليم،----- ثم في عافية وأمن، ثم في خوف، وهكذا، لا يمكن أن يستقر على حال إلا إذا دخل الجنة استقر على حال، شبابه لا يفنى، ويجد فيها اللذة الدائمة المستمرة التي لا كدر معها البتة.

إذن، {كَبَدٍ} عند جمهور السلف بمعنى: تعبٍ وعناءٍ ومشقة.

2---ويرى بعض السلف أن معنى قوله: {كَبَدٍ}: أي منتصب القائمة،----- وهذا قال به جماعة من السلف، وتكون بهذا مثل قول الله -عز وجل: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين: 4].

3---بعض السلف أغرب في التفسير فقال: إن "كبد" بمعنى السماء، {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، أي خلقنا الإنسان في السماء. وهذا قال به ابن زيد، ولم أجد أحدًا قال به غيره. فهذا القول حقيقة غريب، بحثنا في كتب اللغة ما وجدنا من معاني "الكبد" السماء، لكن وجدنا العلماء يقولون: في كبد السماء.

فعل ابن زيد التبس عليه الأمر، فظنَّ أنه يُمكن إطلاقه على السماء،----- لكن لم يقل بهذا أحد غيره، ولذلك نعد هذا القول من الأقوال الشاذة، ولذلك كثير من المفسرين أعرض عنه ولم يذكره.

إن، يبقى عندنا قولان أرجحهما في نظري: القول الأول الذي عليه جمهور السلف، وهو أن الإنسان خلق في كبدٍ أي عناء ومشقة.

هذا أمر يستحق الإقسام، ولا بد أن ننظر إلى هذا المعنى، وهو: هل يستحق الأمر أن يُقسم عليه أو لا؟
-----يعني يأتي واحد يقول مثلاً: أقسم لكم بالله أن هذا اللون أزرق.

تقول له: يا أخي، اربع على نفسك، لا داعي لأن تقسم على هذا الأمر.-----أقول لك: أقسم لك بالله أن هذا اللون أسود.
طيب، ما الفائدة؟! إنما يُقسم على الشيء الخفي، يُقسم على الشيء الذي يُمكن أن يُظن بخلاف ما هو عليه، فتؤكد بالقسم الحقيقة.-----ولذلك هنا يظن كثير من الناس أنه يمكن يعيش بلا كدر ولا تنغيص ولا بأس، ولا مشقة ولا عناء

؛ فيقول الله -عز وجل: لا، ما منكم من أحدٍ إلا سيذوق العناء.---أرأيتم هؤلاء الفقراء في غابات أفريقيا؟ أرأيتم هؤلاء الأغنياء في مناطق العالم؟ **كلهم مكابدون**، هناك الناس يبحثون عن الطعام ليأكلوا، وعندنا يبحثون عن ماذا؟ عن المخففات وكيف الواحد يعمل "رجيم" ويذهب إلى الأندية الرياضية ويُقتل ويرى الطعام الطيب أمام ويحبس نفسه عنه، وكل ذلك من الكبد.

هذا في كل يوم يرى اللذائذ ويحرم نفسه منه خشية أن يُبتلى بالسَّمن، وذلك في كل يوم يخرج من الصباح إلى المساء يبحث عما يدخله في فمه من قتل أو كثير، مغذ أو غير مغذ، مفيد أو غير مفيد، لذيق أو غير لذيق؛ المهم يدخل في جوفه شيء، فهؤلاء يُكابدون، وهؤلاء يُكابدون.

قال: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، هنا مسألة: هل الإنسان هنا هو الإنسان الذي يأتي في عامة السور المكية ويُراد به الإنسان الكافر؟ أو الإنسان يُراد به عموم الناس؟-----{عموم الناس}.

ممکن هذا، يُراد به عموم هذا، وإن كان للكافر منها نصيبٌ----- أشد، لأن البلاء الذي قد كُتب على سائر الخلق يُصيب المؤمن والكافر على حدٍّ سواء، فالمؤمن يُبتلى بالفقر وبالمريض،----- وبالتعب والخوف، وغير ذلك، وكذلك الكافر، لكن الكافر له قدر زائد من الكبد، لأنه لا يوجد عنده إيمان بالله ولا بقدر الله، فهو يُعاني من شيء آخر وهو الفراغ الإيماني،

{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: 124]، أرأيتم هذه القضية؟

{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28]، فالمؤمن صحيح يكابد ويتعب، وتصيبه اللأواء، لكنه في القابل يركن إلى ركن شديد، يأوي إلى الله، يتضرع إليه، يطلب منه، يؤمن بقدره، يعلم أن له حكمة، يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطاه لم يكن ليصيبه، يعلم أن ما أصابه لا بد وأن تكون عاقبته خيراً، **{فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَنَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: 19]**، فيرتاح ويطمئن.

ولذلك لا تكاد تجد من المؤمنين أحداً ينتحر إذا نزلت به البلايا والمصائب، بينما الكفار تجد الرجل في أنعم عيش وأطيبه وينتحر.

من أي شيء ذلك؟-----من هذا الفراغ الروحي العاطفي الذي يضطره إلى أن ينتحر -والعياذ بالله.

ولذلك نقول: الإنسان هنا لا مانع أن يُراد به الكافر بشكل خاص،----- خصوصاً إذا رأينا الآيات التي بعدها، وهي قوله: **{أَيُخْسَبُ أَنْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ أَحَدٌ (5) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبًّا (6) أَيُخْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ}،** إلى آخره.

وإذا حُمل على العموم فله وجه أيضاً، ولا مانع من ذلك.

قال الله -عز وجل: **{أَيُخْسَبُ أَنْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ أَحَدٌ}،** يظن هذا الإنسان الضعيف الذي خُلِق في الكبد وخلق في المشقة أنه قد بلغ الغاية من القوة،

ويظن أنه هو المتصرف في أموره، وأنه هو المدبّر لكل ما يدور حوله، وأن الله لن يقدر عليه، والله هو المتصرف فيه، المالك له، المدبر لأمره-----، فلا تظن أنك تستطيع تفلت من قبضة الله.

قال: **{يَقُولُ} مفتخراً ومتججّحاً عندما يكون له مال: {أَهْلَكْتُ مَالًا لُبًّا}،** أي مالا كثيراً، أنا سافرت إلى أمريكا عشرين مرة، وذهبت إلى جنيف وسويسرا، وذهبت إلى شلالات كذا، وفعلت كذا، وأنفقت كذا، ولي قصر في المكان الفلاني، وقصر في المكان الفلاني.

الله أعطاك المال لتفعل به هذا؟ ولتفاخر بانفاقه بهذه الطريقة؟ وتتكثر به في المجالس كما قال الله: **{أَلِهَاتُكَ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}** [التكاثر 1، 2].

قال: **{يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا}**، أي مالا كثيرا، مأخوذ من اللبدة هذه، اللبدة التي تكون على رأس الأسد، الشعر الكثير الكثيف الذي بعضه فوق بعض.

قال: **{أَيَحْسَبُ أَنَّ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ}**، يعني عندما يتحدث بها ويقول ويفتخر به يظن أن الله لا يراه ولا يطلع على أفعاله فيه؟

ثم يذكره ربه -سبحانه وتعالى- فيقول: **{أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}**، كان الواجب عليه أن يستعمل ذلك في طاعة الله، ويستثمر في العمل الذي ينفعه إذا بعث بين يدي الله -سبحانه وتعالى-.

فعلام يجعل هذه النعم مجالا للفخر وللرياء، وللتعالي على الخلق، وللكر، وللغرسة، وللطغيان،----- وللتجافي عن الحق،----- والإعراض عن آيات الله؟ عجباً له!

ولذلك قال: **{أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ}**، يُبصر بهما الحق؟----- **{وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ}**، ينطق بهما ويتكلم حتى يستبين له الحق، ويحاور من يجادله فيما هو عليه حتى يظهر له الحق.-----

1—القول الاول- {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}، هديناه: أي دللناه سبيل الخير والشر، فالنجدان هما طريقا الحق والباطل، طريقا الخير والشر.

الله -سبحانه وتعالى- من رحمته بعباده قد أظهر لعباده طريق الخير وطريق الشر ظهوراً بيئاً لا إشكال فيه، يعني هل نشك نحن أن التوحيد والشرك شيئاً واحداً؟ لا يمكن نشك في ذلك.----- الكذب والصدق، الظلم والعدل شيء واحد؟ كلنا نعلم، لو لم تنزل الشرائع، ولو لم يرسل الله الرسل، ولو لم ينزل الله الكتب؛ نعلم أن هذا خير وهذا شر.

اي الذي يتصدق على الناس هل هو مثل الذي يأخذ أموال اليتامى ويمنع الناس حقوقهم؟

الذي يُحسن إلى زوجته وأبيه وأمه وأهله وولده مثل الذي يظلمهم ويكذب عليهم ويقطع رحمه؟ لا يمكن.----- هذا من أين؟ هذا من هداية الله للعبد، **{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}**، جعلنا طريق الخير واضحا، وطريق الشر واضحا لا لبس فيه ولا غموض.

وجاءت الأنبياء وجاءت الرسل، وجاءت الكتب لتؤكد وتبين وتفصل وتثير الطريق بشكل لا يدع لذي عقل إشكالا، أو لا يدع لذي إشكال إشكالا في هذا الأمر، ولتزيد المحبة وتظهر الحجة.

2---ولذلك قال: **{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}**.----- بعض العلماء فسر "النجدين" --هنا بأنهما التديان،----- قالوا: **{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}** أي هدينا الطفل عندما يولد إلى تديي أمه يرضع منهما.

قالوا: لأنه جاء بعد قوله: **{أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}**، ما الذي دلّه على ذلك حتى يرضع منهما؟

كان المفترض أن يخضع لدورة تدريبية حتى يتعلم كيف يمص الحليب من صدر أمه، ولكن الله هداه لأن يمص بلا تعليم.

والمعنى الأول أظهر. لماذا؟----- **لأنها في باب إقامة الحجة على الخلق**، قد جعل الله لك عينين تُبصر بهما الخير من الشر، والحق من الباطل، ولسانا وشفتين تتكلم بهما وتنطق وتبين عما في نفسك، وتجاوز، وتفهم.

{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}، هنا حجة ثالثة بعد العينين والشفتين ---يمتثل الله بها عليك ليُبين أنه -سبحانه وتعالى- قد أقام الحجة على أوسع نطاق وعلى أكمل وجه، فليس لك حق في أن تقول: ما بان لي شيء، اختلط عليّ الحق والباطل، التبس عليّ الأمر.-----ومما يؤكد ذلك أنه في سورة الإنسان:

{إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان 2، 3]

، فجاء بهداية السبيل الدالة على أنها هي المناسبة للمقام. وهذا مما يفسر به القرآن، أو مما يفسر القرآن به القرآن قال: **{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}**.----- طيب، ما هو المقابل لهذه النعمة؟

هذا يأتي في المقطع الثاني عندما يقول الله -سبحانه وتعالى-: {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ}، يعني عندما أعطينا هذه النعم، وهديناه هذا السبيل، وأنعمنا عليه بالعينين واللسان والشفتين وغيرها من النعم، أفلا اقتحم العقبة؟

يعني: أفلا اقتحم طريق الطاعة الذي هو عقبة؟-----لأن الطاعة يا إخواني- شاقّة على النفوس، الطاعة تخرج بها عن مشتبهاتك وهواك، أنا أريد أنام في الليل ما أقوم إلا العاشرة صباحًا، يقال لك: قم لصلاة الفجر، وأنت في دفء الفراش وفي لذة النوم تقوم. لماذا؟ لأن الله أمرك، ولا بد أن تقتحم هذه العقبة لتفوز.

إذن العقبة هي طريق الخير.-----قال: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}، النجدان: طريق خير وطريق شر.

طريق الشر:----- تنزل، والنزول في العادة لا يكلف.

وطريق الخير:----- **تصعد، والصعود في العادة ماذا؟ يكلف ويتعب،** الذي يُريد يصعد يحتاج إنه يصعد بمشقة، وقد يصعد أول الدرجات بسلاسة، لكنه بعد ذلك يبدأ النفس عنده يرتفع ويشتد ويرتفع ضغط الدم، وكل هذا من أجل أن يصعد للأدوار العليا.

لكن لو أراد ينزل، أبدًا، مع أي نافذة من النوافذ وفي ثواني يستطيع الوصول إلى الأرض، لكن ما هي النتيجة؟

النتيجة هنا أنه يصل إلى الأدوار العليا، وهنا يصل إلى أسفل سافلين. هذا هو الفرق بين طريق الخير وطريق الشر.

نحن يا إخواني- بالمناسبة، هذا المعنى نوّد أن نجلّيه لأنفسنا لنعلم كم نحتاج من جهد من أجل أن نصل إلى ما أراد الله أن نصل إليه، نحن خلّقنا ووضعنا في الجنة، هذا أبونا آدم،

فعصى فأهبط عقوبة له على أكله من الشجرة وعلى عصيانه لربه، {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} [طه: 121]، {قُلْنَا اهْبِطُوا} [البقرة: 38]، هبطنا.

قيل لنا: من أراد أن يعود إلى الدار الأولى فعليه أن يصعد، لأن الدار الأولى أين؟ في الجنة. وتحتاج إلى ماذا؟ إلى صعود.

كيف تصعد بمخالفة هواك، واقتحام العقبة. ما هي العقبة؟

العقبة هي الطريق الذي يكون بين جبلين، الطريق الذي يكون بين جبلين عقبة، وسلوكه والمشي فيه من أصعب مما يكون، فذلك طريق الخير، لا تظن وأنت تذهب للمسجد أو لما تصوم أو لما تجاهد في سبيل أو لما تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أو لما تقيم السنة أو لما تنهى عن البدعة أو لما تنصح عباد الله، أو...، أو...؛ أن هذا سيكون لطريق مفروش لك بالورود، ترى الكرامات، وترى الأموال، والزوجات، ويفتح عليك، لا.

كما قال صلى الله عليه وسلم -----حُفَّتْ الجنة----- بماذا؟ بالمكاره، ابتلاءً للعباد..-وحُفَّتْ النار بماذا؟ بالشهوات.

هناك بعض الناس يقول: أنا لا أبغي شيء يتعب، نعم، إذا أردت شيئًا لا يتعب فانت ستصل في النهاية إلى المتعب، صحيح ستمر بطريق مليء بالورود، لكن نهايته نارٌ تلتظي، والعكس أيضًا صحيح.

قال: {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ}، لم يتجاوز هذه العقبة التي هي عقبة الطاعة وطريق الخير.-----{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ}، هذا أسلوب يُراد به ماذا؟

التفخيم والتعظيم والتشويق والتهويل لهذه العقبة، وأنها شيء كبير، من اقتحمه وتاوزه فاز فوزًا لا خسارة ولا هلاك بعده.

قال الله -عز وجل- مبينًا ما هي العقبة التي يقتحمها الإنسان، وبأي شيء يقتحم،

لا تظن أنك أمام جبل ستصعده وينتهي الموضوع، لا، المقصود به أعمال صالحة شديدة على النفوس، قال الله فيها ماذا؟

1---{فَكَ رَقَبَةً} تفكُّ الرقاب.

2---{أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ}،--- أي ذي مجاعة، الطعام قليل، والأخبار تقول أنه لا يوجد محاصيل، والمستوعات ما فيها شيء، والطعام الذي عندك لا يكاد يكفيك للموسم، وتُطعم طلبًا لماذا؟ لاقتحام العقبة تُطعم من؟ ملكًا أو أميرًا ترجو نواله ونفعه في الدنيا؟ لا، يتميّا لا أب له

أ---{يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ}، أي قريبًا منك.

ب--{أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ}، قد لصق بالتراب من شدة الفقر.

فانظروا يا إخواني: {فَكَ رَقَبَةٍ}، ما هو فك الرقبة؟ --- يعني تأتي برقبة وتفكها؟ أي اعتاقها، هذا أسلوب معروف أو جملة معروفة يُراد بها اعتاق الرقبة، --- لأن العادة كانت الرقبة تُغْلُ لمن كان رقيقًا، ففكها يعني حلُّ هذه العقدة عنها ليُصبح الإنسان طليقًا.

كيف يفك الإنسان الرقبة؟ يعني يأتي إلى إنسان قد استُعِيد، أو إنسان قد كان رقيقًا فَيُعْتَقَهُ الله -عز وجل.

ومثله: إطلاق من قُيدت حريتهم في سجون أو نحوها-----، بهذا نقول: واجب على المسلمين أن يسعوا في فكك رقابهم من أعدائهم، فإذا كان في المسلمين رجل قد أُسِر، وضعه حاكم طاغية أو كافر في سجن يريد بذلك إيذاءه؛ وجب على المسلمين جميعًا أن يقوموا بفك تلك الرقبة.

كما قال الله: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا} [النساء: 75].

وهذا مما يجب فيه الجهاد، لأن الله قال: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}، وفي سبيل المستضعفين، هذا معنى الآية، في سبيل فككهم وإخراجهم ممن يريد أسرهم وحبسهم والتضييق عليهم وكبت حقوقهم، إلى آخره.-----قال: {فَكَ رَقَبَةٍ}، هذا العمل الأول.

{أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ}، أي ذي مجاعة شديدة.-----مَنْ يُطْعَمُ؟

****{يَتِيمًا}،--- واليتيم هو مَنْ مات أبوه قبل البلوغ، ولا يُطلق على مَنْ ماتت أمه، لأن الإنسان يفقد السند الأعظم بموت أبيه، لأنه هو الذي يُغْذِيه، وهو الذي يجلب له الرزق، وهو الذي يحميه، صحيح أنه يفقد الحنان والبر والرحمة إذا ماتت أمه، لكن يبقى في مملكة أبيه، فإذا فقد أباه أصابه شيء عظيم من البلاء---

قال: {يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ}، أي صاحب قرابة، قريب منك، لأن اليتيم القريب له من الحق أكثر مما لليتيم البعيد عنك.

****{أَوْ مَسْكِينًا}، والمسكين هو ذو المسكنة، وهو الفقير الذي بلغ به الذل مبلغه بسبب فقره، لأن قلة ذات اليد تجعل في الإنسان ذلًا، فهو لا يستطيع يُجاري الناس، ولا يستطيع يدخل معهم، ولا يخرج معهم، ولا يُجالسهم خشية أن يلزم بأشياء اجتماعية ما يستطيعها، فهو يصيبه لأجل ذلك ماذا؟ مسكنة وذل.-----{أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ}،--- أي قد لصق بالتراب من شدة الفقر.

قال: {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا}، إذن عندنا:

1- فك الرقبة. هذا واحد.

2- إطعام في يوم ذي مسغبة. هذا اثنين.-----يتيمًا ذا مقربة، أو مسكينًا ذا متربة.

3- {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا}.

4- {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}.

5- {وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}.

هذه خمسة أسباب يُحصَل بها الإنسان اقتحام العقبة ويكون من أهل الميمنة-----

ولذلك قال: {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا}، لماذا كان من الذين آمنوا؟

لأن فعل الخيرات لا ينفع صاحبه في الدار الآخرة إلا بشرط الإيمان، {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ} [الإسراء: 19]، لابد من شرط الإيمان.

فإذا جاء الإنسان بسعي طيب لكن من دون إيمان؛ فإنه يكافأ عليه في الدنيا، ولكن ليس له في الآخرة شيء، كما قال الله -عز وجل: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: 114]، فلا ينال الأجر العظيم والثواب الجزيل والجنة إلا من كان مؤمناً بالله واليوم الآخر ويريد بذلك وجه الله في الدار الآخرة.

قال: {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}-----، وصَّى بعضهم بعضاً بالصبر، الصبر على الفقر، الصبر على البلاء، الصبر على المحن، الصبر على هذه العقبة، تصوم في شدة النهار، تقوم في ظلمة الليل، تتوضأ بالماء البارد، تترك مشتبهاتك، وتقاسي العذابات من أجل أن تمسك بدين حتى يكون القباض منهم على دينه كالقباض على الجمر من شدة البلاء،

فيوصي بعضهم بعضاً بالصبر، اصبر يا أخي، --- عما قريب نلقى الأحبة محمداً وصحبه، --- عما قريب يذهب ذلك العناء وينتهي هذا البلاء.

قال: {وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}، أيضاً مع الصبر يوصي بعضهم بعضاً بالرحمة.---

يا أخي انظر إلى أخي فلان وجار فلان إنه محتاج. يا أخي، أخو فلان عليه دينٌ فاسع في قضاياه. --- يا أخي، فلان له حاجة فلا بد أن نجتمع على قضاياه. هذا يتيم لابد أن تكفله. هذه أرملة لابد أن تؤويها وتقوم عليها،

(الساعي على الأرملة ولامسكين كالصائم لا يفطر، والقائم لا يفتر).

{وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}.

بخلاف من كانوا في سورة الفجر، ماذا قال الله فيهم؟

قال: {وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ (18) وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا (19) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} [الفجر 18-20]،

ما يهمهم شيء، ماذا يصل إلي؟ ماذا يبقى في جيبتي؟ أما يتيم ومسكين وقريب ومن يرحم؛ هذا لا يعنيني ولا يهمني أبداً.

قال: {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}.

ثم أعطاهم هذه الشهادة وهي قوله: {أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ}، --- هؤلاء هم أصحاب اليمين في الدار الآخرة،

وهم الذين ينالون المكافأة العظمى الجنة وما فيها من خير، وأعظم ما فيها من الخير: رؤية الرب -سبحانه وتعالى- كما قال الله: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: 26].

ولما ذكر هذا الترغيب لأهل تلك العقبة التي لابد من اقتحامها؛ ذكر بالمصير الآخر على طريقة القرآن في الاقتتان بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والجنة والنار، وسبيل المفلحين وسبيل الأشقياء الضالين، قال: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا}، أي جحدوا بها ولم يؤمنوا.

{هُم أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ}، أي أصحاب الشمال وأصحاب طريق الشؤم على أنفسهم،

فإنهم من سلكوا درباً سهلاً وطريقاً منعناً، أغاني، وزني، وخمور، ويفعلون ما يشاؤون، ولا يقومون لصلاة، ولا يصومون يوماً في سبيل الله، ولا يجاهدون عدواً، ولا يأمرن بالمعروف، ولا ينهون عن منكر؛ فهؤلاء هم أصحاب الشؤم على أنفسهم، ومصيرهم كما قال الله -عز وجل: {عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ}.

كانوا في الدنيا منطلقين أحرار، يفعلون ما يشاؤون، يتصرفون كما يريدون، كل ما يحلو لهم وكل ما يبتغون يفعلونه.

في الدار الآخرة {عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ}، كُتبت حرّيتهم، {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنْتُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [المجادلة: 5].

نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يقينا هذا السبيل، وأن يكفينا هذا الشر، ونسأل الله أن ينفعنا أيضاً بهذه السورة العظيمة الكريمة، التي على قلة آياتها فيها معاني لو تأملها المؤمن لكانت له كافية.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وإلى لقاء في درس آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.